

أولاً: مرحلة الاستكشاف

محاضرة الفتح الإسلامي لبلاد
المغرب



د. بودانة وليد- جامعة خميس مليانة

قائمة المحتويات

I-أولا : مرحلة الاستكشاف

5

5..... آ. 01- مقدمات الفتح

6..... ب. 02- فتوحات عبد الله بن سعد بن أبي السرح

7..... پ. 03- حملة معاوية بن حُديج

أولا : مرحلة الاستكشاف

5

01- مقدمات الفتح

6

02- فتوحات عبد الله بن سعد بن أبي السرح

7

03- حملة معاوية بن حُديج

أ. 01- مقدمات الفتح

انفرد الواقدي في كتابه "فتوح الشام" عن غيره من المؤرخين المسلمين بذكر استعانة حاكم الإسكندرية بحاكم برقة ضد المسلمين، حيث قال له: "...إنهم قد أتونا... وأخذوا مصر منا وأخذوا ملكنا وحكموا في بلادنا بعدنا، ولا بد لهم منك ولا غنى لهم عنك، والصواب أن نشمر لهم عن الهمم وتنجدنا على من بغى وأجرم..." ويذكر الواقدي أن رد صاحب برقة كان إيجابيا حيث أرسل لصاحب الإسكندرية جيشا لدعمه يقدر بأربعة آلاف جندي.

وبعد أن تم المسلمون فتح مصر الإسكندرية بقيادة عمرو بن العاص سنة 22هـ/ 643 م رأوا أن عليهم تأمين هذا الفتح فبادروا بإرسال الحملات الاستطلاعية غرب مصر، حيث وجه عمرو بن العاص ابن خالته عقبة بن نافع إلى زويلة وبرقة فافتتحهما، ثم توجه عمرو بن العاص بنفسه إلى برقة وصالح أهلها على الجزية.

بعد أن أتم فتح برقة كان أمام عمرو بن العاص خياران؛ إما أن يواصل تحركه غربا بمحاذاة الساحل ليصل إلى طرابلس، أو أن يتجه جنوبا ليفتح الواحات الجنوبية التي تستقر بها لواتة ونفوسة وهوارة، وقد رأى عمرو أن يقوم بالعمليتين معا فصار هو إلى طرابلس وأرسل عقبة بن نافع جنوبا إلى فزان (جنوب برقة) وبعد أن تمكن عمرو من دخول طرابلس أرسل بسر بن أرطاة إلى ودان (جنوب طرابلس) سنة 23هـ/ 644م حيث صالح أهلها على الجزية.

بعد أن أتم عمرو بن العاص فتح طرابلس راسل الخليفة عمرو بن الخطاب يُعلمه بما أنجزه ويستأذنه في مواصلة فتح إفريقية، لكن الخليفة رفض ذلك وطلب منه العودة إلى مصر، فعاد عمرو إلى القسطنطينية تاركا عقبة في برقة يعلم أهلها الإسلام وينشر تعاليمه بينهم.

لعل الخليفة عمر بن الخطاب لم يشأ المغامرة بجيوش المسلمين في أراضي إفريقية البعيدة، إضافة إلى أنه لم يرغب في فتح جبهة جديدة تضاف إلى جبهتي الفرس في المشرق والروم في الشام، كما نشير إلى أن الخليفة عمر كان قد أرسل أمراً إلى عمرو بن العاص وهو في العريش (شرق مصر) يأمره بالتوقف في المكان الذي يصله فيه الكتاب (توقف أين وصلك كتابي هذا) إلا أن عمرو بن العاص عرف بذكائه محتوى الكتاب فلم يقرأه حتى أتم فتح مصر.

أساسي:تقييم لدور عمرو بن العاص



- لم يكن لعمرو بن العاص دور كبير في فتوحات بلاد المغرب، إنما اقتصر الأمر على فتوحات سهلة إلى حد ما مكنت المسلمين من التعرف على المنطقة.
- رغم أنه سار بمحاذاة الساحل ولم يوغل في الداخل إلا أن عمرو بن العاص لم يهمل تلك المناطق ففتح فزان بعد زويلة وفتح ودان بعد طرابلس، وهذا الأمر أهمله عقبة بن نافع فيما بعد وكان سببا في ضياع جهوده.
- لم يستثمر المسلمون فتحهم لطرابلس ومصراته بالاستقرار فيهما، إذ سرعان ما عادت المدينتان إلى قبضة الروم.

ب. 02- فتوحات عبد الله بن سعد بن أبي السرح

في سنة 25هـ/ 646م قام عثمان بن عفان بعزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وتولية عبد الله بن سعد الذي واصل الحملات الاستطلاعية فكان في بداية ولايته يبعث المسلمين في جرائد الخيل يغيرون على أطراف إفريقيا ويغنمون منها. ثم راسل عبد الله بن سعد الخليفة عثمان يستأذنه في غزو إفريقية، فاستشار الأخير صحابته وأذن له سنة 27هـ/ 648م في غزوها ودعا الناس إلى المشاركة في هذه الحملة، كما أعان الجيش بألف بعير من ماله الخاص.

وصلت القوات التي أرسلها عثمان إلى مصر لتضاف إلى جيش عبد الله بن سعد حتى بلغت عدته حوالي 20 ألف مقاتل فخرج بهم قاصداً إفريقية وفي طريقه حاصر طرابلس التي كان أهلها قد نقضوا العهد وقاموا بتحصين مدينتهم، فلم يُطَل حصارها ربها للوقت وفضل التوجه إلى عاصمة إفريقية قرطاجنة.

كان جريجوريوس الأرمني حاكماً لإفريقية، وتذكر الروايات أنه استقل حديثاً عن الإمبراطورية البيزنطية وارتحل عن عاصمته قرطاجنة التي كانت بمحاذاة الساحل إلى سببلة كي يتجنب حملات البيزنطيين البحرية، وأيضاً حتى يتمكن من تلقي العون من البربر. وقد استعد جرجير لملاقاة العرب عندما علم بقدمهم وجهز جيشاً قدرته المصادر بـ 120 ألف مقاتل.

التقى الجيشان قرب سببلة وبدأت المفاوضات بين الطرفين، حيث عرض المسلمون على جرجير الإسلام أو دفع الجزية، غير أن جرجير رفض رد على ذلك بالقول : "لو سألتهموني درهماً لم أفعل"، ورغم فشل المفاوضات تأخر وقوع المعركة الحقيقية بين الطرفين عدة أيام اقتصر فيها الأمر على المناوشات الخفيفة.

نظراً لانقطاع أخبار جيش المسلمين عن مركز الخلافة قام الخليفة عثمان بن عفان بإرسال عبد الله بن الزبير مع فئة قليلة لتحسس أخبارهم والتعرف عما جرى لهم، وعند وصول ابن الزبير اعتمد المسلمون على خطة نسبت إليه بحيث تركوا جزءاً من أبطال الجيش يرتاحون، وقامت بقية الجيش بمناوشة الروم كالعادة غير أنهم لم يتركوهم عندما حلت الظهيرة مثلما كان يجري سابقاً، إنما استمروا في مناوشتهم حتى أرهقوهم ثم عاد كل طرف إلى معسكره وقد نال منه التعب. بعد ذلك أخذ ابن الزبير من كان مستريحاً من جند المسلمين وأغاروا على معسكر الروم ونجحوا في مباغتتهم وهزمهم وتمكن ابن الزبير من قتل جرجير.

اهتمت المصادر كثيراً بالحديث عن ابنة جرجير بل جعلتها محوراً للمعركة وقد اختلفت هاته المصادر في تحديد مصيرها فهناك من ذكر أنها كانت من نصيب ابن الزبير الذي نقلها للحجاز وتزوجها، وهناك من قال بأنها كانت في سهم رجل أنصاري غير أنها انتحرت في طريقها للحجاز.

دخل العرب سببلة بعد حصار شديد وغنموا منها غنائم كثيرة، وأرسل عبد الله بن سعد السرايا في إفريقية، ليطلب رؤساء إفريقية بعد ذلك من المسلمين مغادرة إفريقية مقابل مقدار كبير من المال (ذكرت بعض المصادر أنه 300 قنطار من الذهب) وهو ما وافق عليه عبد الله بن سعد بن أبي السرح.

لعل السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: لماذا قبل عبد الله بن سعد بهذا الطلب وفضل الانسحاب دون استغلال انتصاره في البقاء والاستقرار.

يبرر حسين مؤنس هذا الانسحاب بعدة أمور يمكن أن نلخصها فيما يلي:

- أن معركة سببلة لم تفتح أمام المسلمين كل إفريقية، وربما خافوا من تجمع البربر خلفهم إذا توجهوا إلى قرطاجنة فيصبحوا بين نارين.
- قضى المسلمون في إفريقية 15 شهراً جمعوا فيها غنائم كثيرة وربما تخوفوا من هجوم الروم أو البربر عليهم فيسلبونها منهم.
- لم يكن الوثائم سائداً بين قادة الجيش وهناك شيء من التوتر بين ابن الزبير وعبد الله بن سعد.
- أن جيش المسلمين تناقص عدده كثيراً بعد هذه المعركة.
- أن عبد الله بن أبي السرح طالبت غيبته عن ولايته مصر وكان يميل إلى العودة إليها لنظر في أمورها.

ب. 03- حملة معاوية بن حديج

توقفت الفتوحات الإسلامية ببلاد المغرب فترة من الزمن بسبب الفتنة الكبرى وما رافقها من أحداث، وبعد أن استقرت الأمور لصالح الأمويين تمت تولية عمرو بن العاص مصر إلا أنه لم يرغب في فتح بلاد المغرب عكس ما كان عليه في ولايته الأولى وذلك راجع ربما إلى تقدمه في السن وانشغاله بأمور المشرق، فلم يبعث لإفريقية سوى بعض السرايا تصيب المناطق القريبة وتعود، وبعد وفاته سنة 44هـ قام معاوية بن أبي

سفيان بتولية معاوية بن حديج قيادة الفتوح بإفريقية وولاه ما يفتحه بها في حين أقام على مصر عقبة بن نافع الجهني.

تحرك معاوية بن حديج على رأس جيش يقدر بـ 10 آلاف مقاتل فيهم كثير من الصحابة والتابعين ونزل موضعاً يُعرف بقمونية، ولما سمع بقدم جيش من الروم قدره ابن الأثير بـ 30 ألف مقاتل توجه للقائه، غير أنه لم يحدث صدام حاسم بين الطرفين، إذ انسحب الروم بعد مناوشات خفيفة، وبيدوا أن هذا الجيش لم يأت لصد المسلمين وإنما كان هدفه إعادة الاستقرار لإفريقية وإعادة ضمها للإمبراطورية البيزنطية بعد أن طرد سكانها عامل الإمبراطور البيزنطي.

بعد ذلك معاوية بن حديج توجه شمالاً إلى مكان يدعى القرن وأرسل عبد الله بن الزبير على رأس جيش يتبع الروم فتمكن من دخول سوسة بعد أن انسحبوا منها، كما أرسل معاوية بن حديج جيشاً على رأسه عبد الملك بن مروان إلى حصن جلواء كي يفتتحه، وبيدوا أن اختيار هذا القائد لم يكن في محله نظراً لحدثاته سنة (19 سنة) واختلافه فيما بعد مع قائد الحملة على اقتسام غنائم جلواء.

لم يُطل عبد الملك بن مروان محاصرة جلواء حتى قرر الانسحاب عنها وأثناء قيامه بذلك انهار سورها فتمكن المسلمون من دخولها، وبعد عودة عبد الملك بن مروان إلى معاوية بن حديج اختلف القائدان في مسألة توزيع الغنائم؛ إذ رأى عبد الملك بن مروان أنها حكر على من توجه معه إلى جلواء، أما معاوية بن حديج فأراد توزيعها على كامل الجيش، وبعد اختلافهما رفع الأمر إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان الذي أقر رأي معاوية بن حديج.

تذكر بعض الروايات أن معاوية بن حديج قد ابتنى دوراً سماها قيروانا في موضع القيروان قبل أن يأتي عقبة، لكن هذه الرواية مشكوك في صحتها إذ يجوز أن يكون قد ابتنى بعض المساكن للجند، أما أن يكون قد فكر في بناء المدينة فهو أمر غير وارد إذ لا وجود له عند أصحاب المصادر الأصلية كابن عبد الحكم والبلاذري.

بعد ذلك توجه معاوية بن حديج إلى بنزرت فافتتحها ولم تذكر المصادر تفاصيل كثيرة عن هذا الفتح غير أن هناك حادثة مهمة وقعت خلال هذا الفتح حيث شذ عبد الملك بن مروان عن الجيش فمر بامرأة من سكان بنزرت فأحسن إليها وأكرمت مثواه، فشكر لها ذلك ولما ولي الخلافة أمر بالإحسان إليها ولأهلها، والذي يفهم من هذه الحادثة أن بعض أهل البلاد كانوا يرحبون بالعرب ويتلقونهم كمخلصين من الروم، وأن العرب لم يكونوا ينهبون البلاد النهب الذريع كما يصورهم عدد من المستشرقين.

أخطأ بعض المؤرخين (ابن عذارى، ابن ناجي...) حين ذكروا أن معاوية بن حديج في حملته توجه إلى غزو صقلية سنة 665/45م، والواقع أنهم أخلطوا بين حملة سابقة في عهد عثمان بن عفان قادها معاوية بن أبي سفيان سنة 26هـ/647م على قبرص ورودس ومنها أرسل جيشاً مع معاوية بن حديج لغزو صقلية. وفي الأخير تجدر الإشارة إلى أن معاوية بن حديج كان قد ترك عاملاً على طرابلس اسمه رويغ بن ثابت الأنصاري، وقد قام هذا الأخير بغزو جزيرة جربة القريبة من السواحل.

سلسلة: قيمة حملة معاوية بن حديج



عاد معاوية بن حديج دون أن يحقق إنجازات كبيرة حيث اكتفى بفتح مدينتي سوسة وبنزرت ولم يتقدم إلى فتح مدينة كبيرة مثل قرطاجنة، كما أنه تخلى عن المدن التي فتحها وعاد إلى مصر دون تثبيت أقدام المسلمين بإفريقية رغم أنه لم يجبر على العودة إليها إنما عاد مخيراً، وعموماً يمكن اعتبار هذه الحملة ضمن مقدمات الفتح الطويلة التي قادها المسلمون للتعرف على البلاد.